34-115

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الرجاء واليأس

يا عباد الله لا تقنطوا من رحمة الله

يا الله يا إلهي النزة القارس
إنما لثلة من لثالي دسمتر الباردة كل شيء
متوقد بما الثلوج وكان صمان رداء الثاني في
الحارة وانعكس فيه المشمت العميق وأما الفوز
كان كاذبا وخطأنا فكارثا. إنما كانت لثلة
وذكرى. معا فنصنعه إلا
بشعورها الناصعة والأجنحة المزنعة بي
النهد حنات السماء زينها الشعوم الثلاثة
المستعشرة

وأما الأشجار منظورة بما صارت
أوراقها بيضاء فضية بسقوط الثلوج
واصطحت الترب الثنائية متطعة للعظلة
ومظلية بالثلوج النامية الشعوم إختلست
النظر إلى سالم بكينة خلال أغصان الشجرة
من إحدى الأشجار الفضيلة الثوبية التي

تَقُومُ أَمَامَ بَيْتِهِ. وَأَنَّهَا نَظَرَتْ بِشُعُورٍ [illegible]
إِلَيْهِ وَلَكِنَّهُ كَانَ عَاجِزًا أَنْ يَرُدَّ التَّبَسُّمَ
بِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ إِلَيْهَا لِأَنَّهُ كَانَ مُصَابًا بِالْحُزْنِ
وَالْكَآبَةِ. كَانَ وَجْهُهُ كَئِيبًا حَزِينًا.

* * * * *

هَلْ تَعْرِفُونَ سَالِم؟؟ طَبْعًا مَنِ الَّذِي
لَا يَعْرِفُونَهُ؟! هُوَ نَجْمُ مَدْرَسَتِنَا وَمَحَطُّ مُجْتَمَعِنَا
هُوَ مَالِحٌ وَمَاهِرٌ. هُوَ سَعَادَةُ وَالِدَيْهِ.

نَعَمْ، سَالِم هُوَ طَالِبٌ مَاهِرٌ يَدْرُسُ
فِي الصَّفِّ التَّاسِعِ أَبُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَانِ. وَهُوَ
جُنْدِيٌّ يَخْدِمُ لِلْوَطَنِ وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ وَصِيَّةُ
الْمَنْزِلِ. كَانَ سَالِم وَلَدًا نَشِيطًا.

* * * * *

فِي مَسَاءِ يَوْمٍ كَانَ سَالِم يَلْعَبُ
مَعَ أَصْدِقَائِهِ فِي مَيْدَانِ الْمَدْرَسَةِ. فَجْأَةً
أَسْرَعَ حِيَوَانُهُ رَامَنْ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَنَّ
أَبُوهُ قَدْ حَمَلَ رِسَالَةً مِنْ مُدِيرِهِ أَنْ يَرُدَّ
إِلَى مَعْسَكَرِهِ، كَاشْمِير. حِينَمَا سَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ

أسرع سالم إلى بيته. لما وصل داره لقي أبوه في زاوية البيت وفي يده صندوق. عانقه أبوه وقال: "يا بني أذهب إلى كاشمير. تجري هناك أنهار الإرهاب. وتحاصرتي هناك صروري لتعلن ولبنا"

صار وجه سالم ذابلا. لما رأى أبوه ذلك مسحه وتابع كلمته: "يا عزيزي، لا تخف سأرجع قريبا إن شاء الله". لا يستطيع سالم أن تسلم قلبه و كلام والده. لكن أخذه بيده والده وداعا له: "يا بابا، أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك". وهذا وله العالم. إذا لا عيون عنده الرحمان لما سمع وله يدعوا له قابل عنده الرحمان على رأس سالم وخرج من بيته.

* * * * *

صار بين سالم كالصفرة نعه خروج أبيه. قد مضت الأيام والأسابيع. لكن لم يحصل من أبيه خبرا حاول أمه مرات أن اتصل بالحوالة. لكن كان

ذَلِكَ عَبْرَ مُخَيِّرَةٍ يَوْمًا كَتَبَ سَالِم رِسَالَةً
إِلَى أَبِيهِ مَسْأَلُهُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَرْسَلَتْهُ.
وَوَفْقًا لِجَوَائِزِ الْبَوْصِيَّةِ تَجْرِي فِي كَانْسِيرِ
مَكْتَبَاتٍ كَبِيرَةٍ. أَكْثَرَ مِنْ 183 شَخْصٍ
مَاتُوا.

صَارَ سَالِم حَزِينًا بِدَلِكَ السَّبَبِ.
وَفِي يَوْمِ التَّالِي سَتَحَرَّتْ أُمُّهُ أَلَمًا شَدِيدًا
فِي الرَّأْسِ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ يُزَوِّجَ رَأْسَهَا
[redacted] أَخَذَهُ عُطْلَةً مِنْ مَدْرَسَتِهِ
جَاءَ بِأُمِّهِ إِلَى الْمُسْتَشْفَى الْحُكُومَةِ بِجَانِبِ
بَيْتِهِ. وَلَكِنَّ أَرْشَدَهُ الطَّبِيبُ أَنْ يَزُورَ
الْمُسْتَشْفَى الْإِسْتِشَارِي فِي الْمَدِينَةِ. بَدَأَ
سَالِم أَنْ يَخَافَ

جَاءَ بِأُمِّهِ إِلَى الْمُسْتَشْفَى الْإِسْتِشَارِيَّةِ
[redacted] لِتَحَالِيلِ عَمِيقٍ. لَكِنْ قَدْ عَيَّرَ الْأَحْوَالُ
جَمِيعًا لَمَّا حَمَلَ وَصْفُ الطِّبِّيَّةِ مَاذَا أَصَابَ

* * * * *

سَأَلَتْ أُمُّهُ عَنْ مَرَضِهَا لَكِنْ أَجَابَهَا
أَنْ لَهَا أَلَمُ الرَّأْسِ فَقَطْ وَلَيْسَ شَيْءٍ لِلْخَوْ

وَوَصَلَ بَيْتِهِ مَعَ أُمِّهِ وَأَعْطَاهُ دَوَاءً لِأَلَمِهَا.
وَأَرْشَدَهُ أُمُّهُ أَنْ يَسْتَرِيحَ عَلَى السَّرِيرِ. لَمَّا
نَامَتْ أُمُّهُ ذَهَبَ إِلَى غُرْفَتِهِ وَبَكَى كَثِيرًا..
الدُّمُوعُ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ..... لَا يَعْرِفُ مَاذَا
يَفْعَلُ... لَيْسَ مَعَهُ أَحَدًا. شَعَرَ أَنَّهُ وَحِيدًا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. صَارَ بُكَاءُهُ صَرَخًا.

إِذَنْ اسْتَيْقَظَتْ أُمُّهُ مِنْ نَوْمِهَا.
وَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ وَسَأَلَ: "مَا لَكَ يَا سَالِم ؟! مَاذَا
أَصَابَكَ ؟ هَلْ لِلَتْ خَبَرًا عَنْ.. عَنْ وَالِدِكَ ؟"
وَامْتَلَأَتْ عَيْنَيْهَا بِالدُّمُوعِ. فَجْأَةً عَلِمَ سَالِم
أَنَّ صَوْتَهُ كَانَ وَاضِحًا. وَأَجَابَ لِأُمِّهَا: "لَا يَا مَامَا.
لَا تَخَفْ، لَيْسَ حَصَلَتْ شَيْئًا مِنَ الْأَخْبَارِ
كَاشْمِيس: "وَلِمَاذَا تَبْكِي ؟"، الْأُمُّ. فَأَجَابَ سَالِم:
"وَجَدْتُ رُؤْيَا السُّوءِ".

لَمَّا سَمِعَتْ أُمُّهُ هَذَا عَانَقَهُ وَقَالَ:
"يَا سَالِم تَوَضَّأْ وَادْعُ لِلَّهِ تَعَالَى ثُمَّ نَمْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَهُوَ يَحْمِينَا سَيُحَافِظُ اللَّهُ
أَبُوكَ". وَرَجَعَتْ أُمُّهُ إِلَى غُرْفَتِهِ.

وَوُضُوءًا لِأُمِّهِ تَوَضَّأَ سَالِمٌ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَدَعَا لِوَالِدَيْهِ وَأَنْ يَحْفَظَ أَوْلَادَهُ ثُمَّ أَخَذَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي يَدَيْهِ. كَانَ عُيُونُهُ مَمْلُوءَةً بِالدُّمُوعِ. فَتَحَهُ وَبَدَأَ يَتْلُو الْقُرْآنَ يَا لَلْعَجَبِ!! مَاذَا ذَلِكَ فِي الْآيَةِ:

"يَا عِبَادِيَ اللهِ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ"

وَلَمَّا ثَمَّ تِلَاوَةُ هَذِهِ الْآيَةِ سَالَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ. يَا لَكَ الْحُزْنِ عَلَى قَلْبِهِ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَنَامَ.

* * * * *

بُكْرَةً نَادَى أُمَّهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ~~لَكِنْ~~ كَانَ لَكِنَّهُ كَانَ عَاجِزًا أَنْ يَقُولَ لِأُمِّهِ عَنْ مَرَضِهَا. إِذَنْ يَأْخُذُ عُطْلَةً فِي الْمَدْرَسَةِ أُمُّهُ سَتَعْلَمُ عَنْ مَرَضِهَا لِذَلِكَ السَّبَبِ عَزَمَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ. لَكِنْ صَارَ عَيْنَيْهِ أَحْمَرًا.

حِينَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِلْمَدْرَسَةِ أَخَذَ بِيَدِ أُمِّهَا وَدَعَا لَهَا: "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ

إذهب البأس اشف أنت شافي شفاء لا شفاء
إلا شفاؤك فاشف شفاء لا يغادر سقما"
"آمين" الأم. "منح السلامة ماما"، ذهب سالم
من بيته

* * * * *

"سالم..." نادى مدرس الحساب. "حاضر"
أجاب سالم. وجه مدرس أن عينها صار
قليلا. فقال المدرس: سالم جئ مع معي إلى
غرفة المدرسين بعد هذه الساعة

بعد ساعة جاء سالم إلى غرفة
المدرسين. وكان هناك المدرس يسار، المدرس
الحساب، أخذ بيد سالم ومسحه على
رأسه وقال "سالم... ماذا أصاب يا عزيزي..
لم صارت عينيك أخرى؟ سالم لم أخذت
عظلة في الجزم الثقيل؟". لما سمع سالم
هذه الكلمات بدأ أن يبكي الدموع تسيل
من خديه.

وقال المدرس: "سالم.. أنا معك ماذا
أصابك؟... قل يا سالم.."

"لَيْتَ مَجِي أَخَاهُ أَبِي فِي كَانْتِمِير. تَجْرِي صُنَارُ أَنْشِطَةُ الْمِرْضَاب وَأُمِّي.. أُمِّي الْحُلْوَة ..." لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُتِمَّ كَلَامَهُ "مَاذَا أَصَابَ سَالِم مَاذَا أَصَابَ لِأُمِّكَ؟" سَأَلَ الْمُدَرِّس.

أَخَذَ سَالِم الْوَصْفَ الْكِتَابِيَّةَ مِنْ جَنِيبِهِ وَأَعْطَاهُ لِلْمُدَرِّس. كَانَ دَلِيلُ صَحْفِ امْتِلَأَ بِهُمُومِهِ. قَرَأَ الْمُدَرِّس هَكَذَا.

"هَذِهِ الْمَرْءُ مُصِيبَةٌ بِسَرَطَانِ الشَّرْطَان فِي رَأْسِهَا"

[This woman is diagnosed by Brain Tumour]

لَا يَقْدِرُ الْمُدَرِّس أَنْ يُصَدِّقَ عَيْنَيْهِ. امْتَلَأَ عَيْنَيْهِ بِالْهُمُومِ. لَكِنْ اخْتَلَسَهَا مِنْ سَالِم.

قَالَ الْمُدَرِّس "لَا تَخَفْ سَالِم. هَذَا الْمَوْضُ فِي الْمُسْتَوَى 1. لِهَذَا الشِّفَاءُ اسْتِطَاعُ. وَنَحْنُ مَعَكَ. سَأُخْبِرُ هَذَا إِلَى الْمُدِيرِ الْمُدَرِّسَةِ وَنُعْطِي الدَّوَاءُ ضَرُورِيٌّ. أُمُّكَ سَتَرْجِعُ حَيًّا وَمَسْرُورَةٌ. لَا تَبْكِي لَيْسَ أَنْتَ وَحِيدًا نَحْنُ كُلُّ مَعَكَ" لَمَّا سَمِعَ هَذَا صَارَ قَلْبُهُ تَسَلِّيًا.

وَتَابَعَ الْمُدَرِّسُ كَلَامَهُ: "هَلْ قَرَأْتَ جَرِيدَةَ النِّيُوزِمِيتَةِ؟" أَجَابَ سَالِم "لَا" الْمُدَرِّس: "كَانَ حَسَنًا عَنْ عَمَلِيَّةِ الْخُلُودِ وَالْإِرْهَابِ. وَصِيَ عَلَى طَرَفِ نِهَايَةٍ. وَفِي أَيَّامٍ تَقْرِيبًا سَتَحْصُلُ أَخْبَارًا عَنْ أُمُّكَ يَا وَلَدِ اللهِ." صَارَ قَلْبُهُ كَالزَّجَاجِ الْحَمْدُ لِلّٰه.

* * * * *

رَنَّ الْهَاتِفُ فِي الْمَسَاءِ "سَالِم خُذِ الْهَاتِف" قَالَ الْأُمّ. أَسْرَعَ سَالِم إِلَيْهَا. وَأَخَذَهُ "هَلُو هَلُو.... السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ..." لَمْ يَسْتَطِعْ سَالِم أَنْ يُصَدِّقَ هَذَا سَمِعَ وَكَانَ ذَلِكَ صَوْتَ أَبِيهِ الَّذِي مَلَأَ الْفَرَحُ قَلْبَهُ "وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ" أَجَابَ سَالِم.

"يَا بُنَيَّ أَنَا بِخَيْرٍ. سَلِّمْ عَلَى أُمِّكَ سَأَتَّصِلُ بِكَ تَقْرِيبًا. لَا تَخَفْ" ــــ قَطَعَ الْهَاتِف. لَمْ يَرُدَّ عَلَى الْكَلَامِ مَعَ أَبِيهِ لَكِنْ صَارَ فَرْحَانًا وَمَسْرُورًا. أَخْبَرَ سَالِم أُمَّهُ عَلَى هَذَا. وَهِيَ أَيْضًا صَارَتْ فَرْحَانَةً.

تَكَلَّمَ اللهُ ﷻ تَعَالَىٰ وَذَكَرَ فِي الآيَةِ

"يَا عِبَادَ اللهِ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ"

لَكِنْ انْتَهَىٰ فَرَحَهُ لَمَّا غَابَ وَالِدُهُ عَنْ أَلَمِ رَأْيِهَا. ذَهَبَ إِلَىٰ زَاوِيَةٍ مِنْ بَيْتِهِ وَجَلَسَ عَلَىٰ الْفَرْشِ ــــ

يَا اللهُ يَا إِلَهِي النُّورُ النَّارِي

إِنَّهَا لَبْلَةٌ مِنْ لَيَالِي دِيسَمْبَرَ النَّارِيَّةِ كُلُّ شَيْءٍ مَدْفُونٌ فِي الثَّلْجِ

الْخَدَمُ نَظَرَتْ إِلَيْهِ بِغُمُوضِ الشَّمْسَةِ إِلَيْهِ لَكِنَّهُ كَانَ عَاجِزًا أَنْ يَرُدَّ التَّشَمُّمَ إِلَيْهَا. وَكَانَ وَجْهُهُ كَئِيبًا حَزِينًا

* * * * *

مَاذَا قَالَ ذَلِكَ النَّجْمُ؟ مَاذَا؟! هَلْ يُسْتَبْرُ سَالِمٌ ~~عَنْ~~ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ الزَّاهِرِ؟! سَنَعْرِفُ كُلَّ ذَلِكَ.

سَالِمٌ حَالِيًّا هُوَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْيَأْسِ. الرَّجَاءُ لِحَيَاةٍ سَعِيدَةٍ وَالْيَأْسُ عَنْ كَارِثَةٍ سُوءٍ.

نَعَمْ الآن هُوَ بَيْنَ الأَمَلِ وَالْيَأْسِ
لَكِنْ يَضِيقُ وَيَعْتَقِلُهُ الآيَة: "يَا عِبَادَ اللهِ لاَ
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ"

سَالِم ... بَيْنَ الأَمَلِ وَالْيَأْسِ وَبَيْنَ الدُّمُوعِ
وَالْفَرَحِ ...